خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز
الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١١/٠١/٢٨

في مسجد بيت الفتوح بلندن

۞۞۞۞۞

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

هناك حديث قدسي يقول الله ﷻ فيه "لولاك لما خلقت الأفلاك". وإن شريحة كبيرة من المسلمين تعترض على صحة هذه الرواية، أما نحن المسلمون الأحمديون فقد بيَّن لنا المحب المخلص للنبي ﷺ إمامُ الزمان عليه السلام أن هذا الحديث صحيح، فهذا الحديث يكشف لنا أسمى مكانة للنبي ﷺ، إنه أفضل الرسل جميعا وقد بُعث لجميع الأزمنة إلى يوم القيامة، وقد وهب الله له الدرجة المتميزة حيث ينال الإنسان باتباعه حبا إلهيا، كما وُهب له خاتَمٌ

تتحقق نبوة الأنبياء السابقين وصدقهم من خلاله، وأعطي مقام خاتم النبيين الذي أكسبَ المسيحَ الموعود والإمامَ المهدي حسب نبوءته ﷺ درجةَ النبوة لكونه من أمته ولكونه عاشقا صادقا له ﷺ، فتقرُّبه إلى الله ﷻ الذي ذكَره الله في القرآن في آية: ﴿دَنَا فَتَدَلَّى﴾(النجم ٩) يمثِّل قمةَ القرب الإلهي. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في بيان ذلك: هذا قد ورد في وصْف النبي ﷺ ومعناه أنه صعد إلى فوق ثم نزل إلى بني البشر، فكمال النبي ﷺ أسمى كمال يستحيل العثور على نظيره، وفي هذا الكمال وُصفتْ درجتان له، إحداهما الصعود والثانية النـــزول. أما صعودُه فكان إلى الله ﷻ أي قد جُذب إلى الله ﷻ حبا وصدقا ووفاء لدرجة أحرز درجة الدنوّ من ذلك القدوس. فقد اختيرت – في هذه الآية – كلمة الدنوّ لأنها أبلغ من "أقرب"، أي إن كلمة الدنوّ أبلغ وأوسع معنًى من القرب، فالقرب يفيد القرب فقط أما الدنوّ ففيه المبالغة أي تقرَّب جدا حتى اندمج فيه. .. فحين أحرز حظا من فيوض الله وبركاته نزل رحمةً لبني البشر، وهذه نفس الرحمة المذكورة في ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٨)

والسر نفسه يكمن في اسم النبي ﷺ "القاسم" حيث يتلقى خيرا من الله تعالى ثم يوصله إلى المخلوق، فكان نزوله للإيصال إلى المخلوق، فجملة ﴿دَنَا فَتَدَلَّى﴾ تشير إلى هذا الصعود والنـــزول، وهذا يشكل برهانا على علوّ مرتبة النبي ﷺ. (جريدة الحَكم مجلد ٩ رقم ٢٢، ١٠ سبتمبر ١٩٠٥ صفحة ٨)

فالسماء والأرض الجديدتان اللتان تكونتا بنـــزوله ﷺ، فاكتسب درجة الدنو من الله فأحرز القدرة على نجاة الناس بشفاعته لهم ونال حبه ﷻ، فوهب له

اللهُ ﷻ مقام رحمة للعالمين، حيث وصف حبهم له ﷺ حبا له ﷻ، فكل هذه الأمور تُثبت أن الله ﷻ مكّنه من إحراز هذه الأخلاق السامية نتيجة حبه الخارق له ﷻ، فلا مسوغ لنا لرفْض صحة هذا الحديث القدسي الدال على علو شأنه ﷺ.

فمن سعادتنا أننا ببيعتنا لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام أدركنا هذه المكانة السامية للنبي ﷺ. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام توضيحا لهذا الحديث: ما المشكلة في اعتبار رواية "لولاك لما خلقت الأفلاك" صحيحةً، فقد ورد في القرآن الكريم ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (البقرة: ٣٠) أعني إذا كان كلُ ما في الأرض لعامة الناس، أفلا يجوز أن يكون لبعض الخواص الأفلاكُ أيضا؟ فإذا كان "ما في الأرض جميعا" للناس عامةً فيمكن أن يَخلق الله ﷻ الأفلاك أيضا للخواص من عباده.

فحين جُعل آدم خليفةً كانت الحكمة فيه في الحقيقة أن يوظِّف هذه المخلوقات لأغراضه حسب مشيئة الله، أما الأجرام الفلكية مثل الشمس والقمر والنجوم التي ليست له السيطرة عليها فهي مسخرة للإنسان بأمر من الله ﷻ. فكانت هذه الكائنات ولا تزال مسخرة بأمر الله للنبي ﷺ أكثر من أي إنسان آخر، وستظل في المستقبل أيضا مسخرة لحضرته ﷺ. فقد حدثتْ في زمنه معجزةُ انشقاق القمر التي رآها العالم. أنا لن أخوض في تفاصيل هذه المعجزة الآن، لكن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام قد بيَّن هذا الموضوع وأثبت بدلائل أن هذه المعجزة قد ظهرت في الحقيقة، كما قال عليه السلام: يمكن أن يكون نوعا من الخسوف، رآه الآخرون أيضا.

ثم هناك نبوءة لحضرته ﷺ تنبأ فيها أن الشمس والقمر سينخسفان من أجل مهديِّه في أيام محددة من شهر محدد، فلهما أيضا علاقة بالأفلاك وكأنهما سُخِّرا له، وقد شهدت الجرائد في ذلك العصر على أن هذا الخسوف قد حدث. على كل حال إن غايتي من بيان هذه المقدمة كلِّها تبيانُ المكانة السامية للنبي ﷺ. وعلاوة على ذلك نجد في الروايات ذكرَ معجزات لحضرته ﷺ لا حصر لها، تكشف لنا مكانته العظيمة عند الله ﷻ وعلاقته المرموقة بالله ﷻ التي لا نظير لها في السابق، ولكن مع كل ذلك حين طالب الكفارُ النبيَّ ﷺ بالصعود إلى السماء أمام أعينهم ليأتي بكتاب يقرؤونه قال تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلا بَشَرًا رَسُولا﴾ (الإسراء: ٩٤) فمع أن مكانته ﷺ أسمى وأعلى من الناس جميعا لأنه هو الإنسان الكامل، ولكن فيما يتعلق بكونه بشرا فقد عاملَه الله تعالى كما عامَل الأنبياء الآخرين. بمعنى أنه كما عارض الأنبياءَ أممُهم عارضَه ﷺ أيضا قومُه. ولما كان النبي ﷺ مرسَلا للناس كافة وللأزمنة كلها لذا عورض في ذلك الزمن ولا تزال هذه المعارضة جارية إلى يومنا هذا وستستمر في المستقبل أيضا. وكما واجه الأنبياء الآخرون الاستهزاء، فقد استُهزئ به ﷺ ولا يزال يُستهزَأ به. غير أن سليمي الطبع الذين كانوا يؤمنون بالأنبياء من قبل آمنوا به ﷺ في عصره، بل آمن الناس به أكثر من أي نبي آخر فانتشر الإسلام في خارج الجزيرة العربية أيضا في حياته المباركة، وقد شاهدت الدنيا انتشاره في العرب والمناطق المجاورة خارج العرب أيضا. ثم ظل ينتشر في العالم كله، ولا يزال ينتشر. وسيأتي زمان حين تأتي

الأغلبية من سكان العالم تحت راية الإسلام وراية النبي ﷺ، لأن الله تعالى قد كلّفه بمهمة التبليغ قائلا: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ (المائدة: ٦٨)
فبلَّغ ﷺ الدعوة بالحسن والإحسان والحب والعفو والصبر والدعاء. إن الأعداء يتّهمون النبي ﷺ بنشر الإسلام بحد السيف ولكن المؤسف في الأمر أن بعضا من علماء الإسلام أو الذين يدّعون أنهم علماء يعتقدون أيضا بأن الإسلام قد انتشر بالسيف، مع أن الحروب اندلعت بعد الهجرة من مكة إلى مدينة، مثل معركة بدر التي اندلعت بعد سنة واحدة من الهجرة، وهكذا ظلت المعارك المختلفة جارية إلى صلح الحديبية، والمعركة التي اشترك فيها أكبر عدد من المسلمين كانت معركة الأحزاب حيث كان عددهم ٣٠٠٠ مسلم. أما في صلح الحديبية فكانت القافلة التي رافقت النبي ﷺ كان عددها ١٥٠٠ شخص. والفترة بين معركة بدر وصلح الحديبية هي قرابة خمس سنوات، والفترة بين صلح الحديبية وفتح مكة تُقدَّر بحوالي سنتين إلا الربع، والجيش الذي رافق النبي ﷺ عند فتح مكة كان قوامه عشرة آلاف جندي. فهذا أقوى دليل على أن الإسلام قد انتشر أكثر من أية فترة أخرى في هاتين السنتين اللتين ساد فيهما الأمن والوئام.
فهناك أحداث أخرى كثيرة حيث أخذ عفو النبي ﷺ بشغاف قلوب الناس.
لقد ذكرت في الخطب الماضية أحداث عفو النبي ﷺ وصفحِه وشفقته على خلق الله، تُرى ما الذي حدا به إلى ذلك؟ لقد قام بكل ذلك لأن الله تعالى أمره به. لا شك أن الله تعالى قد قال له إنك أحب الخلق وأقربهم إليّ، ولكن لا بد أن تتعرض لما تعرّض الأنبياء السابقون على يد الناس، ولكن يجب أن

تستمر بأداء واجب التبليغ بكل صبر وثبات وتحمّل وعفو وصفح، ويجب أن تتجنب الغلظة والشدة قدر المستطاع إلا إذا سُلِّطت عليك الحرب، ولا بد أن تبدي نموذجًا أعلى للصبر مقابل كل الاتهامات والبهتانات وبذاءة اللسان والأذى الذي تتعرض له من قبل الأعداء، لأنه الطريق الصحيح لنشر رسالة الإسلام. كيف ذكر الله تعالى في القرآن الكريم كل هذه الأمور، وما هي النصيحة التي أسداها؟ يقول الله تعالى للنبي ﷺ في سورة ق: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ (ق ٤٠)، أي لن يتوقف هذا الطعن والاتهام والأذى لذلك يجب أن تتحلى بصبر كثير لتحمله. لقد تكررت هذه النبوءة في القرآن الكريم بأن الله تعالى ورسله هم الغالبون، ومن كان الله تعالى معه فهو الناجح والغالب في نهاية المطاف. لقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ أن يواظب على تذكير الناس بواسطة هذه التعاليم فمن يخاف الله تعالى ويخاف وعيده هذا فهو الذي يتمكن من تحسين عاقبته.

ثم ماذا أوصى الله تعالى نبيه ﷺ مقابل بذاءة لسان الأعداء؟ يقول الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الأحقاف ٣٦) أي لقد بدأ الآن النظام الجديد الذي كانت بدايته منوطة ببعثتك، ولكن هناك وقت محدد لتحقق النجاحات والانتصارات، فينبغي أن تصبر وتتحمل، ولا بد أن يلتزم أتباعك أيضا بالصبر والتحمل لأن هذا ما تحلى به أولو العزم من الأنبياء وأتباعهم. فإن الصبر على هذه الشدائد وتحملكم هذه المشاكل كلها يكفل النجاحات المستقبلية، وعند تحققها يتم

البطش بالعدو وستنكشف له حقيقة أعماله وسيدرك حينها أن هذه الحياة الدنيوية التي كان يعتبرها كل شيء له لم تكن تساوي ساعة واحدة فحسب. لقد تولى الله تعالى بنفسه معاقبة أعداء الأنبياء والبطش بهم، وقد أرى الله تعالى بشكل أوضح تعامله هذا مع أعداء النبي ﷺ حيث دمر عليهم وسحقهم لدرجة محا أثرهم. فأين ذهب أعداؤه الكبار الذين كانوا يُعتَبرون زعماء مكة؟ أين صار ذلك الملك الذي بعث جنوده للقبض على النبي ﷺ؟ إن عصر النبي ﷺ ممتد إلى يوم القيامة لذلك فإن البطش بالأعداء وفق الوعد الإلهي في كل عصر من العصور يصبح آية على صدقه ﷺ.

كيف آذى الأعداء النبي ﷺ، وبأية أسماء نادوه، وكيف أرادوا تشويه سمعته، ذكر الله تعالى أحد طرقهم في القرآن الكريم: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (الحجر ٧)، إنه استهزاء به ﷺ، بل هو شتيمة سافرة. لقد نزلت هذه السورة في مكة التي كان معظم سكانها يعاملون النبي ﷺ بالمعاملة المذكورة نفسها، اللهم إلا القلة القليلة من الناس الذين كانت فطرتهم نقية فآمنوا به ﷺ. ولكن لما فتح النبي ﷺ مكةَ عامل الجميع بالحب والشفقة والرحمة. لم يكن هؤلاء يسبون ويشتمون فحسب بل كان من بينهم من بلغ في الظلم منتهاه، ومنهم من سلّط على النبي ﷺ الحروب إلا أنه قد عامل الجميع بالرحمة والشفقة لأن الله تعالى قد قال له بأنه سيتولى الانتقام منهم.

ثم يقول الله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ (الفرقان ٥). تحتوي هذه الآية على مفاهيم عظيمة عميقة إلا أنني أريد أن أقول هنا أن الذين

كانت ألسنتهم تصفه صدوقا وأمينا قبل إعلانه النبوة أخذوا يتهمونه بالكذب بعد إعلانه.

ثم أشير في القرآن الكريم إلى شناعة كلام الأعداء حيث قالوا: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (الفرقان ٩)

كما أشير في آية قرآنية أخرى إلى سخافة كلام الكفار كالآتي: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (ص ٥)، فكان الكفار ينعتون النبي ﷺ أحيانا بالكذاب وأخرى بالساحر وتارة ينادونه بأسماء بذيئة أخرى وينشرون عنه أكاذيب ويستهزئون به بألوان شتى، إلا أن الله تعالى قد أوصاه ﷺ بالتحلي بالصبر والمثابرة على حمد الله تعالى ورفع أكف الضراعة والدعاء في حضرته ﷻ، ثم أوصى به الله تعالى المؤمنين أيضا بنفس هذه الوصية. ثم يقول الله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (آل عمران ١٨٧).

ماذا يمكن أن يكون أكثر إيذاء وإيلامًا للمؤمن المحب لسيده وسيدنا محمد ﷺ ومن يعتبره أعز من نفسه من أن يسمع عن سيده ومولاه مثل هذا الكلام البذيء المسيء إليه ولو بشكل خفيف، ولكن الله تعالى أوصانا بالصبر عند سماعنا بمثل هذه الأمور. لقد ذكرت في الخطبة الماضية مثال المسيح الموعود عليه السلام كيف أبدى ردة فعله، ويجب أن تعرفوا أنها أيضا مشروطة بشرط التقوى، فلو رددتم على الإساءات إلى النبي ﷺ متحلين بالتقوى ومظهرين إياها من خلال أعمالكم مع التركيز على الدعاء فهو الرد النابع عن الحب

للنبي ﷺ. فلو خضعنا أمام الله ذي الانتقام – عند سماعنا أقاويل هؤلاء الأعداء – سالكين في دروب التقوى وداعين إياه فلا بد أن يرينا عاقبتهم السيئة أيضا، فإن التزامنا بالتقوى هو الشرط الأساس في هذا الأمر.

على أية حال، إن ملخص ما قال الله تعالى بخصوص المعترضين المستهزئين بالنبي ﷺ وبالقرآن الكريم هو أنه بنفسه يتكفل معاقبة هؤلاء والانتقام منهم. فلقد ردّ الله تعالى على هؤلاء المعترضين في القرآن الكريم قائلا: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الحاقة ٤١-٤٤)

فهذا ما ردّ به الله تعالى على مستهزئيه ﷺ ونابزيه بالألقاب ومكذبيه الذين كانوا ينعتونه كذابا (والعياذ بالله). فهذا هو الجواب الأمثل للذين وجَّهوا إليه ﷺ تهما كاذبة واستهزؤوا به، وإلى جانب ذلك فقد نصحه الله تعالى والمؤمنين أيضا بالصبر والدعاء. ولكن لم يترك ﷻ حبل الأعداء على غاربهم، ولم يكتف بالقول بأنه ﷺ ليس كاهنا ولا كاذبا، وأن ما توجِّهونه إليه من التهم ليس صحيحا، بل قال ﷻ: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ ثم انتقم الله بنفسه من أعداء الإسلام سواء في هذه الدنيا أو بعد مماتهم. يقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ (السجدة ٢١-٢٣)

فالله تعالى الذي يراعي ويهتم بأحبائه دائما وفي كل حين وآن لم يترك أعداءهم دون أن ينتقم منهم إن لم يرتدعوا من العداوة، ولم يخشوا تحذيراته ﷻ. فهو يُري بعض تجلياته في هذه الدنيا لإصلاح الناس، وإن لم يعتبروا بها فلا يتركهم دون انتقام بل يعاقبهم حتما. ولك يقول الله ﷻ أيضا بأن هذا الخيار في يدي أنا دون غيري. ثم يخاطب اللهُ النبيَّ ﷺ ويقول: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا * وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلا * إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ (المزمل: ١١-١٤)

فحين نصح اللهُ النبيَّ ﷺ بالصبر قال إلى جانب ذلك عن أهل الدنيا بأن نِعم الدنيا ورفاهيتهم قد أدّت بهم إلى الكفر، فسينالون عقاب كفرهم لأنهم تجاوزوا الحدود كلها. وستكون هذه العقوبة عبرة للآخرين. إذن، فإن قضية جعلهم عبرة قد أخذها الله تعالى في يده. وقد نصح النبي والمؤمنين به بالصبر والتنحّي عن الأعداء بعد سماع هرائهم. ثم يقول الله تعالى في سورة العلق عن عقابه الأعداءَ: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى * كَلا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ (العلق: ١٠-١٩)

فهذه هي سنة الله في العقاب. وفي هذه الأيام هناك حاجة ماسة للتدبر في أمر وهو: مَن هم الذين يصلون اتباعا لذلك العبد العظيم، ومَن هم الذين يمنعون المصلين؟ فهذه عبرة كبيرة للذين يمنعون الناس من العبادة. وفي آية أخرى لعن الله الذين يستهزئون بنبيه الحبيب – الذي خُلقت السماوات والأرض من أجله

– والذين ازدادوا كفرا وآذوه فقال: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا﴾ (النساء: ٤٧)

فهذه اللعنة ستصيب الذين يختارون الطرق المذكورة أعلاه ويسيئون إلى النبي ﷺ. وقال اليهود بأننا آذينا هذا الرسول (ﷺ) إلى قدر ما استطعنا وأسأنا إليه بالكلام أيضا بقدر ما كان في وسعنا وأخرجنا كل ما كان في وسعنا في التخطيط ضده وما زلنا نخطط، فلو كان هذا الرسول صادقا فلماذا لا يعاقبنا الله، فيقول الله تعالى في هذا الصدد: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (المجادلة:٩)

وثابت من بعض الأحاديث أن اليهود كانوا يحضرون أحيانا مجالس النبي ﷺ أو يقابلونه في أماكن أخرى فكانوا يقولون: السام عليكم بدلا من قولهم: السلام عليكم، وبذلك كانوا يتمنون موته ﷺ. وكما قلت في إحدى الخطب الماضية بأن الصحابة كانوا يقولون في مثل هذه المناسبات ما معناه: ألا نقتلهم يا رسول الله؟ فكان النبي ﷺ يمنعهم دائما لأن الله تعالى قد أخذ عقوبة مثل هذه الإساءات في يده. والعقوبة التي سيعاقبهم الله تعالى بها بإلقائهم في جهنم لا يمكن أن تكون مثل عقوبة في الدنيا. وكما قلت من قبل بأن النبي ﷺ كان أحب الناس وأحب الأنبياء إلى الله ﷻ، وإن سلسلة نبوته سارية إلى يوم

القيامة، وهو أفضل الأنبياء جميعا، ومع ذلك كله واجه معارضة من قبل الأعداء وتخطيطَهم لإيذائه وإلحاق الضرر به ﷺ مثل الأنبياء الآخرين تماما. ولكن الله تعالى أمره في كل موطن بالدعاء والصبر كما صبر أولو العزم من الرسل. وهذا ما أُمر به أتباعه ﷺ أيضا. وإلى جانب ذلك ذكر أيضا كيف سيعاملهم ويعاقبهم على إساءاتهم وإيذائهم وكيف سينتقم منهم على هرائهم وخبثهم، فقال إنه سيعاقب بعضهم في الدنيا وبعضهم بإلقائهم في نار جهنم بعد مماتهم. ولكن لو سلّط العدو الحرب وأفسد أمن المجتمع فيؤذَن بالتصدي لهم، لأنه لولا الإذن بمواجهتهم لأفسد أعداء الدين أمن أتباع الأديان أجمعين.

هناك أمثلة كثيرة على كيفية انتقام الله تعالى من الأعداء في الحياة الدنيا، وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أحد هذه الأمثلة في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد: ٢) الشخص المذكور في هذه الآية، وهو أبو لهب، كان عمُّ النبي ﷺ. حين أعلن النبي نبوته وجمع الناس لتبليغ الدعوة اجتمع الناس ليسمعوا له، وبهذه المناسبة استخدم هذا الشخص كلمات نابية بحق النبي ﷺ. ثم كيف أخذه الله صادق الوعد؟ لقد ورد هذا الذكر في رواية مفادها أن الذئاب هاجمته في أثناء سفره ومزَّقته إرْبا. فإن وعود الله تعالى بحق حبيبه بل أحب الناس إليه ستظل تتحقق إلى يوم القيامة. ولقد ظل أعداء الإسلام وسيظلون يرون وبال أعمالهم إلى يوم القيامة. ندعو الله تعالى أن يرينا دائما مشاهد عظمته ﷺ ومشاهد حبه له، ويوفقنا للعمل بتعليم القرآن حقًّا، ونكون مؤمنين حقيقيين كما توقَّع النبي ﷺ منا. آمين.